عن المنظمة الصهيونية في العام ١٩٣٥) الى المنظمة الام بعد تاكدها من انها تلتقي معها حول القضايا الاساسية . وبالطريقة نفسها ، في الوقت الذي يستنكر فيه الزعماء الاسرائيليون سياسة حزب حيروت العسكرية والتوسعية ويؤكدون على ان هدف السياسة الاسرائيلية هو السعي نحو السلام ، يتبنون موقفا هجوميا وتوسعيا كما فعلوا خلال عدوان حزيران (يونيو) ، فعشية عدوان الخامس من حزيران طلب الى مناحيم بيجن ، زعيم حزب حيروت ، ان ينضم الى الحكومة الائتلافية التي شكلت آنذاك ، وبذلك تحقق الى حد ما حلم جابوتنسكي باقامة وزارة صهيونية موسعة تضم جميع الاحزاب وتكرس نفسها من اجل الرسالة الصهيونية « التاريخية » . وبشكل مغاير للزعماء الصهيونيين الذين يقولون غير ما يفعلون بادعائهم الاعتدال علنا بينما هم في الحقيقة يمارسون العدوان والتوسع ، لم يكن جابوتنسكي ليوصم بمثل هذه الازدواجية ، اذ انه على النقيض من وايزمان الذي سار على خطاه الزعماء الاسرائيليون من امثال جولدا مئير وابا ايبان ، لم يتعاط الحيل الديبلوماسية والمناورات السياسية ، فقد كتب عن الصهيونية على حقيقة ما يراها : قومية ، توسعية ، عنصرية وعسكرية . وبالفعل فان ثلاثة وعشرين عاما من الاعتداءات الاسرائيلية لهي افضل دليل على دقة نظرة جابوتنسكي الى الصهيونية .

سنحاول في هذه المقالة ان نعالج جانبا من برنامج جابوتنسكي لم ينل اهتماما كافيا من قبل الباحثين ، وهو سياسته الاقتصادية لبناء الدولة اليهودية . ومع ان مخططه الكامل لم يطبق كما وضعه هو ، فانه من الاهمية طرح هذه المشاريع في ضوء الصهيونية « النقية » . ومع ان السياسة الاقتصادية لجميع الزعماء الصهيونيين اظهرت بدرجات متفاوتة الميزات نفسها ، الا ان اعتماد جابوتنسكي على الامبريالية البريطانية لانتزاع ملكية الارض وغير ذلك من اساليب قهر السكان الاصليين ، العرب ، لضمان السيطرة الاقتصادية الصهيونية يعتبر من اكثر هذه السياسات بروزا . ومع ان اهتمامه فيما بعد بسياسة الطبقة الوسطى الاستيطانية واستيراد رؤوس الاموال يعكس عقمه السياسي ، الا ان ذلك وجد طريقه الى حيز التنفيذ على نطاق واسع على ايدي تنظيمات اخرى مثل الهستدروت .

يقول جابوتنسكي ان القوى المحركة للتاريخ هي ذات طبيعة اقتصادية بنسبة ٩٩ بالمئة وذات طبيعة سياسية بنسبة واحد بالمئة . ومع ذلك فقد جعل للواحد بالمئة الاسبقية ووضعه على راس المفكرة الصهيونية(١). وكبقية الزعماء الصهيونيين ، كانت سياسة جابوتنسكي الاقتصادية ، في جوهرها ، تعتمد على فكره السياسي . ومع ان جابوتنسكي معروف بشكل رئيسي بتطرفه السياسي وفكره التوسعي والعسكري ، فان برنامجه الاقتصادي كان تجسيدا لاهدافه السياسية ، وكثيرا ما حفلت كتاباته وخطبه بالاساليب الاقتصادية للاستيطان . ومن خلال نظرة جابوتنسكي للصهيونية كمجموعة مؤسسات وليس كعملية تاريخية تشكلت ضمن ظروف زمانها،وضع سياسته الاقتصادية لكي يسهل عملية قيام الدولة بشكل سريع . ومع انها لم تكن عملية اذا ما نظر اليها ضمن ظروف تلك الفترة ، فانها عبارة عن بيان صريح للاهداف الصهيونية التي نفذها فيما بعد الزعماء الآخرون بكل عناية وذكاء خلال الفترة الزمنية التي تمت فيها « صهينة » فلسطين .

ولما كانت سياسة جابوتنسكي الاقتصادية قائمة على اساس تحقيق الاطماع السياسية المباشرة ، نرى من الضروري استعراض مفهومه للصهيونية ، ولو بشكل موجز . لقد كانت فكرة جابوتنسكي الاساسية هي ضرورة ايجاد ارضية سياسية لـ « الشعب» اليهودي باسرع ما يمكن . وقد رأى جابوتنسكي ، كهرتزل ونوردو ، ان الحل العقلاني لمسألة مناهضة السامية في العصر الحديث هو ايجاد الوضع الطبيعي للشعب عن طريق تأمين ارض وشخصية سياسية خاصة به . وكان الهدف الواضح لهرتزل ونوردو هو اقامة دولة ، مع ان برنامج بال للعام ١٨٩٧ كان عبارة عن حل وسط بين اولئك الذين